

فن التصوير الإسلامي والمصورون في العصر الوسيط

أ.د. بلحاج معروف

جامعة تلمسان

المقدمة

كان موقف الدين الإسلامي من التصوير صارما ومحرمًا له، حيث وردت في هذا الشأن أحاديث نبوية كثيرة تشير كلّها إلى تحريمه، وقد أثار هذا جدلا فقهيا وعلميا، ولكن هذا التحريم لم يقض على التصوير قضاء تاما، إذ على الرغم من البداية المحتشمة لهذا الفن في القرون الإسلامية الأولى فإنه ازدهر وتطور على يد مصوّرين في العديد من الأقاليم الإسلامية، لاسيما في إقليم فارس، فزّين هؤلاء الفنّانين ابتداء من العهد العباسي جدران العمائر والمخطوطات بتصاوير جميلة ورائعة، وسجّل بعضهم عليها أسماءهم وتوقيعهم، كما حفظت لنا بعض المصنوعات الخزفية، لاسيما الأواني المعروفة بالخزف ذو البريق المعدني على أسماء بعض المصوّرين، وهذا يدل حقيقة على روح الإبداع والابتكار التي اتّسم بها الفنّانين المسلمون، كما يدل على بلوغهم مرتبة مشرّقة لدى الحكام المسلمين، وذلك على غرار المفكرين والأدباء والشعراء. وسنحاول في هذه المداخلة تسليط الضوء على بعض الفنّانين المسلمين الذين اشتهروا بحرفة التصوير خلال العصر الوسيط وأبدعوا فيها، وكان لهم الفضل في تأسيس مدارس فنية متميّزة في فن التصوير.

1 - مفهوم التصوير

أ- التصوير لغة

من صور يصوّر تصوّروا، والمصوّر من أسماء الله الحسنى وهو الذي صور جميع المخلوقات، فأعطى كلّ شيء منها صورة خاصة، وهيئة مفردة تميّز بها عن غيرها على اختلاف أشكالها وألوانها وعددها، والصورة هي الشكل أو

النوع أو الصفة، وتعني أيضا التمثال (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، ج:4، 1972، ص: 473). ويقول الرازي في مختار الصحاح أن الصورة جمعها صور، وصورة تصوير أي فتصورت الشيء، أي توهمت صورته، فتخيّل لي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، 1989، ص: 327).

ب- التصوير اصطلاحا

التصوير اصطلاحا فيعني صور الشيء، أي جعله صورة مجسّمة، ويمكن تعريفه على أنه رسم بالألوان أو تمثيل شيء عن طريق الخط أو بواسطة الكتل والأحجام (أبو الحمد محمود الفرغلي، ص: 15).

2 - موقف الدين الإسلامي من التصوير

قبل الحديث عن فن التصوير والفنانين الذين امتهنوا صناعة التصوير جدير بنا التوقف عند قضية مهمّة أثارت الكثير من الجدل والنقاش بين الفقهاء في هذا المجال، ويتعلّق الأمر بتحريم الدين الإسلامي للتصوير، ففي الوقت الذي لا نجد إشارة صريحة في القرآن الكريم تحرّم من خلالها تصوير الكائنات الحيّة، فإنّ الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة جاءت منهية عن التصوير، وسنقتصر هنا على ذكر أمثلة من تلك الأحاديث:

روى البخاري في باب التصاوير من كتاب اللباس في حديث النبي ﷺ يقول: "إنّ أشد الناس عذابا يوم القيامة المصوّرون" (البخاري، مج: 4، ج: 7 - 9، 1422هـ: 167).

روى البخاري عن القسم عن عائشة رضي الله عنها أنّها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها النبي ﷺ قام على الباب فلم يدخل قالت " فعرفت في وجهه الكراهية فقلت يا رسول الله أتوب إلى الله ورسوله ماذا أذنبت فقال وما بال هذه النمرقة قلت اشتريتها لك لتقع عليّ وتوسدها فقال إنّ أصحاب هذه

الصور يعذبون يوم القيامة فيقال لهم أحيوا ما خلقتم وقال إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة" (البخاري، مج: 4، ج: 7-9، 1422هـ: 169).

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "كان قرام لعائشة تستر به جانب بيتها، فقال لها النبي ﷺ أميطي عني فإنه لا تزال التصاوير تعرض لي في صلاتي" (البخاري، مج: 4، ج: 7-9، 1422هـ: 168).

والظاهر على تحريم الدين الإسلامي للتصوير في رأي بعض الفقهاء (محمد علي الصابوني وآخرون، د.ت: 6-8) كان أساسه الفرع والخوف من ما قد يؤدي إلى العودة إلى عبادة الأوثان والأصنام ومضاهاة خلق الله، فضلا عن كراهية العيش في الرفاهية والبدخ اللذين يبعدان الإنسان عن عبادة الخالق. وكيفما كان الحال فإنّ هذا التحريم لم يقض تماما على فن التصوير، ويبرز تاريخ الفن الإسلامي أنّ بعض الفنانين المسلمين لم يكتروا كثيرا بالتحريم، فازدهر فن التصوير في العديد من الأقاليم الإسلامية المختلفة، ولاسيما تلك التي كانت لديها تقاليد عريقة في هذا الفن كإيران ومصر والعراق وتركيا والهند.

3 - نشأة فن التصوير الإسلامي

إنّ ما نعرفه عن نشأة فن التصوير في صدر الإسلام قليل جدًا بسبب ندرة ما وصل إلينا من النماذج، وأقدم ما يعرف عن التصوير في العهد الإسلامي المبكر تلك النقوش التصويرية التي تزين جدران قصير عمرة وقصر الحير الغربي في بادية الأردن، وبعض قاعات بيوت سامراء ونيسابور وأيضاً رسوم جدران قصر محمود الغزنائي على نهر هيلموند (ثروت عكاشة، 1977: 28-29).

لقد أخذ فن التصوير طريقه في التطور عبر المخطوطات التي من خلالها وجد الفنان المسلم ضالته، فأظهر إبداعاته وتفوّقه في هذا المجال، ولعلّ أقدم نموذج للمخطوطات المصوّرة تعود إلى القرن الثالث والرابع للهجرة وقد تم

العثور عليها في إقليم الفيوم بمصر وهي محفوظة بالمكتبة الأهلية في مدينة فينا (زكي محمد حسن، 1972: 6)، لكن المصادر التاريخية والأدبية ترجع بداية تزيين المخطوطات بالتصاوير إلى القرن الثاني للهجرة؛ حيث أن ابن المقفع لما ترجم كتابه كليلة ودمنة الذي ذكر فيه ما يلي "وينبغي للناظر في هذا الكتاب ومقتنيه أن يعلم أنه مقسم إلى أربعة أقسام وأعراض.... والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الألوان والأصباغ، ليكون أنسا للملوك ويكون حرصهم عليه أشد للزهة في تلك الصور." وكتب أيضا: "وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا أن لا يجعل غايته التصفح لتزويقه بل يشرف على ما تضمن من الأمثال." (نقلا عن زكي محمد حسن، 1972: 7) وهكذا يتضح أن استعمال التصاوير الإسلامية في المخطوطات كان منذ فجر العصر العباسي.

ومن جهة أخرى، تم الاستعانة بالمصوِّرين المسلمين لتزويق العديد من المخطوطات في مجالات مختلفة؛ العلمية والتاريخية والأدبية، ومن أبرز المخطوطات العلمية التي عني بتزويقها المصوِّرون نذكر كتاب في البيطرة وهو مختصر رسالة لأحمد بن الحسن بن الأحنف، وأيضا ترجمة كتاب الترياق لجاليموس، وترجمة كتاب الحشائش أو ما يسمى أيضا بـ "خواص العقاقير" لديسقوريدس، وكتاب عجائب المخلوقات للقرظيني، وكتاب الحيل الميكانيكية لابن الرزاز الجزري. ومن أشهر المخطوطات الأدبية التي أقبل على تزيينها الفنانون مقامات الحريري لبديع الزمان الهمداني، وكتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، وقد اهتم المصوِّرون أيضا بتزويق كتب التاريخ مثل الشاهنامة للفردوسي، وقصائد المنظومات الخمس للشاعر نظامي، وكتاب بستان لسعدي، وترجمة كتاب تاريخ الملوك والأنبياء للطبري إلى الفارسية، وكتاب تاريخ المغول لرشيد الدين، إلى جانب عدد آخر من المخطوطات التي تضمّت تصاوير (زكي محمد حسن، 1972: 13 - 27).

وقد اشتهر بالتخصّص في هذا الفن، مجموعة من الرّسّامين الذين برعوا في توشية الكتب واللوحات بهذه الرسومات المتنوعة والمختلفة، وكثر عددهم وتعدّدت طبقاتهم .. حتى أنّ أحد المؤلّفين -فيما نخبرنا به المقرّيزي - أفرد كتاباً عن طبقات المزوّقين، بعنوان: ضوء النبراس وأنس الجلاس في أخبار المزوّقين من النّاس (المقرّيزي، د.ت، ج:2: 318)، ولكن هذا المخطوط قد اختفي مع الأسف مثله مثل آلاف المخطوطات العربية والإسلامية التي نهبها المستعمرون الأجانب.

5 - المصوِّرون المسلمون

كانت طبيعة الفنون التي ورثها المسلمون وطبيعة الشعوب التي شكلت الإمبراطورية الإسلامية، إضافة إلى تحريم تصوير الكائنات الحيّة سبباً في عرقلة نمو التصوير الإسلامي، مقارنة بالتصوير الأوروبي في عصر النهضة، لاسيما في صدر الإسلام وحتى القرن الرابع والخامس الهجريين؛ حيث اكتفى الفنانون المسلمون بإنجاز أعمال تصويرية على جدران الحمامات والقصور البعيدة عن أعين العامّة، كما أنّهم تحاشوا إبراز أسمائهم على إنجازاتهم، وفي المقابل أبدع هؤلاء الفنانون في رسم زخارف متنوعة نباتية وهندسية جميلة، ثم خطيّة متداخلة ومتشابكة، أعطت للفن الإسلامي طابعاً متميّزاً وخاصاً، واستمر إخفاء المصوريين لأسمائهم حتّى في المنمنمات التي زينت بعض المخطوطات، لكن هذا الوضع لم يستمر كثيراً، حيث ظهر فنانون لم يبالوا كثيراً بقضية تحريم التصوير، فنفذوا توقيعهم على رسوماتهم سواء كان ذلك على المخطوطات أو الخزف.

أ - مصوِّرو الجداريات

من المعلوم أنّ هناك عدّة نماذج من الصور الجدارية التي تعود إلى العهد الأموي والعهد العباسي، والتي زيّنت جدران القصور والحمامات في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي بصور مائية جميلة (الفريسكو)، لكن نجد توقيعات

المزوّقين على المنجزات الفنية التي وصلت إلينا ممّا جعل مهمّة الباحث عن أسماء مصوِّرو الجداريات صعباً، ويبقى الخطط للمقريزية الملاذ الوحيد بالنسبة إلينا للتعرف على المصوِّرين المختصّين في هذا النوع من التصوير.

أ - 1 بنو المعلم

من مصوِّري العصر الفاطمي وذكرهم المقريزي على أنّهم شيوخ المصوِّرين الكتامي والنازوك، وأنّ من آثارهم جامع القرافة، ووصف تصويرهم على قنطرة تحمل تصاوير في منحني حافتي القوس لشادروان مدرّج وآلات ذات الألوان مختلفة الأسود والأبيض والأحمر والأخضر والأزرق والأصفر، بحيث تبدو للناظر من موضع ما على خشب على شكل مقرنص، ومن موضع آخر في شكل مسطح، ويروي المقريزي أنّ هذا العمل الفني كان من أبدع أعمال المزوّقين (المقريزي، د.ت، ج: 2: 318)، ويبدو أنّ بنو المعلم قد عرفوا المنظور (البعد الثالث).

أ - 2 الكتامي

الظاهر انه من قبيلة كتامة البربرية ويعد من المصوِّرين الذين اهتمّوا بالتصوير الجداري، وقد أشار المقريزي إلى أنّه كان من تلاميذ بنو المعلم، ومن نماذج أعماله التصاوير الجدارية التي نفذت في دار النعمان بالقرافة والتي تمثل سيدنا يوسف داخل جب أسود وهو عار (المقريزي، د.ت، ج: 2: 318).

أ - 3 ابن عزيز

ذكره المقريزي في خططه، وهو من مصوِّري العصر الفاطمي، استدعاه الوزير أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري المعروف بسيد الوزراء من العراق إلى مصر، حيث شارك مع بعض المصوِّرين الفاطميين في النهضة الفنية في تلك الفترة، وقد شبّه المقريزي أعمال ابن العزيز بالخطاط ابن البواب، وقد نافس هذا المصور المصوّر القصير، فقام ابن العزيز بتصوير راقصة ذات

ثياب أحمر في حنية صفراء على جدار بطريقة تبدو للناظر على أنها بارزة من الحنية فاستحسن اليازوري عمله (المقريري، د.ت، ج: 2: 318).

أ - 4 القصير

لقد ورد ذكره في كتاب الخطط، وكان يعد من نوابغ المصوّرين في العصر الفاطمي، وقد اختبره اليازوري في منافسة مع ابن العزيز، فقام بتصوير راقصة ذات ثياب أبيض داخل حنية جدارية سوداء، بأسلوب كانت تبدو وكأنّ تلك الراقصة داخل الحنية (المقريري، د.ت، ج: 2: 318)، إنّ اهتمام القصير بالتصوير الجداري لم يمنعه من إنجاز أعمال تصويرية على الخزف فخير دليل على ذلك تلك القطعة الخزفية ذي البريق المعدني التي عثر عليها محمود إبراهيم حسين والتي تحمل توقيع هذا المصوّر (محمود إبراهيم حسين، 1989 : 79).

ب - مصوّرُو الخزف

لقد قام العديد من الفنانين بأعمال تصويرية رائعة على الخزف، تناولوا موضوعات اجتماعية شتّى تعكس حياة القصور والبذخ، مثل مناظر الطرب والشراب والصيد، وإلى جانب ذلك تناول المصورون أيضا حياة العامة، وموضوعات أساسها الأساطير الفارسية.

ب - 1 ابن دهان

يعد من المصوّرين الأوائل في مصر، وقد عاش فيما يبدو في العصر الطولوني، وقد اختلف بالرسم على الخزف، لاسيما الخزف ذو البريق المعدني، وقد تعرّفنا على هذا الفنان من خلال التوقيع على أعماله (محمود إبراهيم حسين، 1989 : 27).

ب - 2 مسلم بن الدهان

يُعد من أعلام صنّاع الخزف في العصر الفاطمي، وكان حيا خلال حكم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (نعمت إسماعيل علام، 1992 : 122)، وقد

جاء توقيعه باسم مسلم بن الدهان وأحيانا باسم "أبو القاسم مسلم بن الدهان" وتارة أخرى تحت اسم مسلم فقط. وتميّز أسلوبه في الزخرفة بالبساطة وحرية الحركة والجرأة في التعبير، وهو يميل إلى رسم موضوعه الرئيسي، بحيث يتوسط الإناء، ويحاول إيجاد زخارف نباتية للموضوع، بحيث لا يترك أي جزء خال من الزخارف.

وبالنسبة لـزخارفه الآدمية، فتناولت كل الموضوعات المتعلقة بتسلّيات البلاط الملكي، مثل: موضوعات الشراب والموسيقى والرقص والغناء، بالإضافة إلى الموضوعات التي تتعلّق بحياة عامة الشعب، مثل: مناظر الحمّالين ورسوم التحطيب والمصارعة ومصارعة الديكة. وفيما يتعلّق بالحيوانات والطيور، فإنّها كانت ترسم بأجسام ممتلئة وسمينة تمتاز بالقوة والبعد عن العنف، ومن الحيوانات التي شغف بها مسلم هي الأرنب والغزال. أما الطيور فإنه رسم بالطاووس بكثرة (محمود إبراهيم حسين، 1989: 98 - 99).

ب - 3 ابن الساجي

مصور من العصر الفاطمي، وقد تميّز أسلوبه في الرسم بتصوير الصور الآدمية بخاصية شعبية ذات ملامح مصرية واضحة، واستخدم الخط الكوفي في الزخرفة الخطية، وتوجد قطعتان من عمل هذا الفنان في متحف بناكي بأثينا (محمود إبراهيم حسين، 1989: 27 - 28) ..

ب - 4 أبو العز

من المصورين البارعين في العصر المملوكي، وقد تعرّفنا عليه من خلال أعماله الفنية في العديد من القطع الخزفية، حيث يظهر أسلوبه في الزخرفة بـقالب تقليدي ويبدو أنّه عاش في القاهرة (محمود إبراهيم حسين، 1989: 29).

ب - 5 أحمد الصياد

من مصوري الخزف في العصر الفاطمي، وامتاز أسلوبه الفني باستخدام طريقتين في الرسم في قطعة خزفية واحدة، الرسم بأسلوب البريق المعدني مع

إضافة ظلال بألوان مختلفة تحته، ويشبه أسلوبه هذا أعمال الفنان الطيب، ولعل هذا التقارب والتشابه في أسلوب التصوير يعود إلى معاصرتهم زمنياً (محمود إبراهيم حسين، 1989: 32).

ب - 6 أحمد بن علي الرسام المصري:

يبدو من خلال لقبه أنه مصوّر من مصر أو عاش فيها، امتنهن مهنة التصوير على الخزف، وقد ولد سنة (750هـ/ 1349م)، وتوفي سنة (817هـ/ 1414م) (محمود إبراهيم حسين، 1989: 32 - 33).

ب - 7 الشريف أبو العشاق

ورد اسم هذا المصور بصيغ متعدّدة مثل عمل الشريف أو عمل شريف عشاق وأيضا عمل شريف أبو العشاق ويمثل أسلوبه في الرسم المرحلة المتقدمة من الخزف الفاطمي، ويتميز الشريف برسم الحيوانات ذات أجسام ممتلئة وضخمة لكنها تقتقد إلى الرشاقة والحيوية (محمود إبراهيم حسين، 1989: 39).

ب - 8 الحسن بن عربشاه

تعرفنا على هذا المصور من خلال البلاطات الخزفية التي تغطي محراب جامع الميدان بمدينة قاشان، وتحمل تاريخ 623هـ/ 1226م، وقد ذاعت شهرة المصورين الذين تركوا بصماتهم على البلاطات الخزفية بقاشان (نعمت إسماعيل علام، 1992: 152).

ب - 8 الطيب

اشتهر بالرسم على الخزف، وكان أسلوبه مميزاً بين كل الأساليب الأخرى، إذ استخدم لونين من البريق المعدني بدل اللون الواحد الذي طغى على الخزف الفاطمي، كما أضاف ألواناً أخرى إلى البريق المعدني، وكانت رسوم الحيوانات عند الطيب تبدو أكثر رشاقة وحيوية مقارنة بمسلم، ولكن التعرف على هويتها كان صعباً، واستخدم رسومات لحيوانات غير مألوفة في

التصوير الفاطمي مثل الكلاب والثعالب والفهود. وقد رسوم الطيور أيضا في وضعية رشيقة متفوقا بذلك على المصورين مسلم وجعفر المعاصرين له، ويبدو أنه كان متأثرا بالتصوير الصيني في هذا المجال (محمود إبراهيم حسين، 1989 : 39 - 40).

ب - 9 جعفر المصري

وقد ذكره بعض مؤرخي الفن بجعفر البصري، ولا ينبغي في نظرنا الجدل في نسبته، ما إذا كان بصريا أم مصرياً. وما يهّمنا أنه كان من المصورين المشهورين في مصر الفاطمية، والدليل على ذلك ورود اسمه تحت اسم مسلم في قطعة خزفية واحدة، وهذا ما يوحي إلى أنه كان تلميذا لدى مسلم، وبالنسبة لأسلوبه الفني فقد كانت رسوماته الآدمية والحيوانية والطيور مشابهة لأسلوب مسلم، لكننا نلمس نوعا من التطور لدى جعفر (محمود إبراهيم حسين، 1989 : 50 - 53).

ب - 10 سعد

من بين أشهر المصورين في العصر الفاطمي شأنه في ذلك مسلم وجعفر، لكن إنتاج سعد كان كبيرا ومتنوعا، ويبدو أنه عاش في أواخر القرن الحادي عشر وخلال القرن الثاني عشر للميلاد (نعمت إسماعيل علام، 1992، ص: 122)، لقد استخدم هذا الفنان البريق المعدني النحاسي والأخضر الزيتوني المائل إلى الاصفرار، ويرجح أن رسومه نفذها بطريقة القولية، بينما استخدم طريقة الحز على البريق المعدني في تنفيذ العناصر الدقيقة، وإلى جانب الخزف قام سعد بالتصوير على الزجاج انطلاقا من القطعة الزجاجية التي تحمل توقيعه والمحفوظة في متحف بناكي بأثينا. ومن أبرز ما تناوله سعد في تصاويره موضوع رجال الدين المسيحي، وأحسن مثال على ذلك تلك القطعة الخزفية المحفوظة في متحف فيكتوريا وألبرت محمود إبراهيم حسين، 1989 : 62 - 64).

ب - 11 شمس الدين الحسني

لقد تعرّفنا على هذا المصوّر من خلال صحن من الخزف ذي البريق المعدني الذي يحمل توقيعيه والمؤرّخ في (607هـ / 1215م)، وقد رسم على هذا الصحن القصة الفارسية المشهورة خسرو وشيرين، وقد برع في تجسيد كل ملامح القصة على شاكلة منمنمة، ويبدو من خلال براعته هذا العمل أنّه كان من مصوّري المخطوطات محمود إبراهيم حسين، 1989 : 69 - 70).

ب - 12 علي البيطار

يبدو من خلال الأسلوب الفني الذي استخدمه في تنفيذ رسوماته أنّه كان من الصنّاع للخزف الفاطمي ومصوّريه المبكرين، ويعتقد أنّه كان يعمل في منطقة الفسطاط، وكان أسلوبه قريب الصلة من أسلوب مسلم. يشبه أسلوبه أسلوب الزخارف التي سادت في العصر الطولوني. فقد غلب علي رسومه الأدمية الروح الطولونية التي تميّز بالخشونة، بالإضافة إلي ضخامة العناصر وعدم الدقة في رسمها. وقد استخدم الزخارف الهندسية في زخرفة ملابسه المتمثلة في أشكال سداسية تملؤها معيّات صغيرة. وأمّا رسوم الطيور والحيوانات فيغلب عليها طابع البساطة والبدائية محمود إبراهيم حسين، 1989 : 77 - 78).

ب - 13 علي بن عبد القادر

اسمه الكامل علي بن عبد القادر بن محمد النقاش، وقد تعلّم فن التصوير على يد زوج أمّه حتى اكتسب مهارة الرسم، وقد تعرّفنا على هذا الفنان من خلال المصادر التاريخية، وتوفّي سنة (880هـ / 1475م) (نقلا عن محمود إبراهيم حسين، 1989 : 77)، ويبدو أنّه اشتغل في تصوير الخزف ذي البريق المعدني.

ج - مصوِّرو المخطوطات

لم تكن التصوير المصغرة (المنمنمات) التي تزدهر بها المخطوطات المزوّقة العربية ظاهرة فنية متميّزة وغنيّة فحسب، في الفن الإسلامي خلال للعصور الوسطى، ولا تكمن قيمتها في تكامل عناصرها الفنية وبنائها المدهش وخصوصيتها، بل تعد مصدراً أصيلاً ليس له بديل في دراسة ظروف الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع العربي في ذلك الوقت، وإنما مهّدت الطريق أيضاً لبناء أسس فن واقعي أصيل، وبقِيَم جديدة عرفت انتشاراً واسعاً في بلدان الشرق الأوسط أثراً عميقاً في فنونها.

ج - 1 الواسطي

يحيى بن محمود بن يحيى بن الحسن الواسطي فنان عراقي من القرن الثالث عشر الميلادي لا يعرف عن شخصيته، ولا عن حياته إلا القليل، لكنّه نسب من خلال اسمه إلى مدينة واسط العراقية، وللإشارة فإنّه من المرجّح أنّه أقام في بغداد لأن الخط الذي تضمّنته أعماله خط بغدادي. ارتبط اسم الواسطي بمقامات الحريري التي كتبها سنة (634 هـ / 1237م) وقام بتزيينها بمنمنمات معبّرة في مضمونها، والمؤرّخة لحياة الناس وبعض من مظاهرها آنذاك (زكي محمد حسن، 1981 : 27).

بعض من منمنمات الواسطي محفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس ضمن مجموعة شيفر (تحت رقم 5847 عربي) (زكي محمد حسن، مدرسة بغداد، 1972 : 21)، وقد حظيت هذه المخطوطة باهتمام الدارسين والباحثين، كما اعتبرت من أهمّ المنتجات الفنية في تلك الفترة نظراً لغناها وقوّة تعبيرها. كما تم مقارنة منمنمات الواسطي أيضاً بمنمنمات قس عراقي من

الموصل في القرن الثالث عشر، وأظهرت أوجه التشابه جلية بين الفنان المسيحي والإسلامي في العراق في تلك الفترة.

وقد اهتم الباحثون بدراسة مخطوطة (شيفر باريس) ومنمنماتها التي وصل عددها تسعة وتسعون منمنمة قام بإنجازها المزوّق الواسطي سنة (634هـ / 1237م)، واعتبرت منمنماتها قمة ما أنتجته مدرسة بغداد الفنية من إبداع وغنى في ذلك الوقت، ومنها صورتان تمثلان عروس في هودج على جمل يشيعه فرسان يحملون الأعلام ويقرعون الطبول ويعزفون على الآلات الموسيقية (زكي محمد حسن، مدرسة بغداد، 1972 : 21)

ج - 2 عبد الله بن الفضل

قام بكتابة وتصوير مخطوطة خواص العقاقير لديسقوريدس التي تعود إلى 619هـ / 1222م، وجميع أوراق هذا المخطوط مبعثرة في متاحف العالم، ويبدو التأثير البيزنطي واضحاً في تصاوير الأشخاص الذين يلبسون ملابس مزينة برسوم نباتية، وقد استعمل ابن الفضل خمسة ألوان الأخضر والأزرق والأحمر والأصفر والذهبي، ومن أمثلة هذا المخطوط صورة لطبيب يحضّر دواء، وهي محفوظة بمتحف اللوفر بباريس (زكي محمد حسن، التصوير، 1981 : 37).

ج - 3 جنيد السلطاني

المتحف البريطاني فنان فارسي كان في خدمة السلطان أحمد من سلاطين الجلائريين في بغداد، وقد وجد توقيع على صور المخطوط المحفوظ في عبارة عن نسخة من قصائد خواجو كرماني الذي كتبه الخطاط الفارسي الشهير مير علي التبريزي سنة (799هـ / 1396م) (زكي محمد حسن، التصوير، 1981 : 39).

ج - 4 كمال الدين بهزاد:

يعد أبرز مصوّري إيران ولد سنة 854هـ / 1450م بمدينة هراة في شمال غرب أفغانستان، وتتلّمذ على يد المصوّر روح الله ميرك نقاش، قد تنعم برعاية

حسين يبقرا ووزيره مير علي شير اللذين كانا أعظم رعاة الفن في التاريخ الإسلامي، وقد ذاع صيت هذا الفنان داخل إيران وخارجها، لقد بقي بهزاد بمدينة هراة في خدمة السلطان أربك الشيباني بعد سقوط الأسرة التيمورية سنة 912هـ/1506م)، وظل يشغل هناك إلى أن سقطت في يد الشاه إسماعيل الصفوي الذي عينه مديرا لمكتبته الملكية، ثم انتقل معه إلى مدينة تبريز حيث توفي فيها سنة 939هـ/1535م، وقد تخرج من مدرسة بهزاد عدد كبير من المصورين المبدعين نذكر منهم؛ مراك نقاش وعبد الرزاق وقاسم علي والشيخ زاده (أمين البشير : 40 - 42).

ومن أجمل المخطوطات التي حملت أعمال بهزاد المنظومات الخمس للشاعر نظامي مؤرخة في (846هـ/1442م)، وهي محفوظة بالمتحف البريطاني، وتحتوي على تسعة عشر صورة، وأيضا مخطوطة بستان للشاعر الإيراني سعدي والمؤرخة في (893هـ/1488م)، وتحتوي على ست صور، ويتضح من خلال هذه الصور مهارة وإبداع بهزاد في إيجاد توازن في توزيع مجموعات الأفراد داخل الصورة، كما يلاحظ اهتمامه الكبير بإبراز الزخارف الهندسية الدقيقة التي تزين العماثر، وقد برع بهزاد في رسم المناظر الطبيعية والحيوانات في إحدى الصور التي تحلي المخطوطة حيث تظهر الملك دارا وراعي الخيل (أمين البشير : 42 - 44).

ويعود الفضل في الحقيقة إلى بهزاد في رسم موضوعات تتطرق إلى الحياة اليومية التي لم تكن متناولة من قبل المصورين السابقين له، وتبين صورتان في نسخة ثانية للمنظومات الخمس هذا التوجه، وهي مؤرخة في (910هـ/1494م) ومحفوظة في المتحف البريطاني، وتصور إحدى الصورتين عمال يقومون ببناء قلعة الخورنق في حركات جميلة (نعمت إسماعيل علام، 1992 : 250 - 251).

ج - 5 قاسم علي

نُبع هذا المصوّر في هراة في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري الخامس عشر للميلاد، ظل مجهولاً لدى مؤرّخي الفن، حيث كانوا يخلطون بين أعماله وأعمال بهزاد حتّى قام ساكسيان Sakisian بفحص المنمنمات التي نسبت إلى بهزاد والتوقيعات التي تحملها، فلاحظ في الصور التي تحلي مخطوطة المنظومات الخمس للشاعر نظامي المحفوظة بالمتحف البريطاني إمضاء الفنان قاسم علي فوقها إمضاء بهزاد مزوراً.

وعلى الرغم من أنّ إمضاء قاسم علي لا يظهر سوى على ست صور، فإنّ ساكسيان يعتقد أنّ هناك ست صور أخرى يمكن نسبتها إلى هذا الفنان. وأحسن صورة رسمها قاسم علي تلك التي تمثل مدرسة على الهواء الطلق، والصورة التي تمثل عدداً من النساء في بركة حمام. وقد عثر على توقيع هذا الفنان في صورة من مخطوطة محفوظة في المكتبة البولديان بأكسفورد، مؤرّخة في (890 هـ/ 1485م)، وتمثل هذه الصورة جماعة من الصوفية في حديقة (زكي محمد حسن، 1981 : 53 – 54).

الخاتمة

على الرغم من الأحاديث النبوية التي تحرّم التصوير، فإنّ ذلك لم يمنع الفنان المسلم لاسيّما في بلاد فارس من إنتاج رسومات جميلة ورائعة سواء كان ذلك على الجدران أو على المخطوطات أو الخزف والبلاطات الخزفية، وقد تناول في تصاويره موضوعات مختلفة مستوحاة من حياة البلاط الملكي، وحياة العامة وأيضاً من الأساطير الفارسية. ويبقى موضوع المصورين الذين كان لهم الفضل في ازدهار فن التصوير في بلاد المغرب الإسلامي يحتاج إلى بحث جاد

ودراسات عميقة من قبل الباحثين قصد نزع اللثام عن الغموض الذي مازال يغطي هذا الموضوع، ويؤرّق مضجع الأثريين ومؤرّخي الفن.

قائمة المصادر والمراجع:

- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي)، (1422هـ) لجامع الصحيح، مج: 4، ج: 7-9، ط: 1، دار طوق النجاة، بيروت.
- المقرئ (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي): (1987) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج: 2، ط: 2، مكتبة الثقافة العربية القاهرة.
- ثروت عكاشة، (1977م). التصوير الإسلامي، ط: 1، مطبعة فنيقيا، بيروت.
- زكي محمد حسن، (1981م). التصوير في الإسلام عند الفرس، دار الرائد العربي، بيروت.
- زكي محمد حسن، (1972م). مدرسة بغداد في التصوير الإسلامي، وزارة الإعلام العراقية، بغداد.
- محمود إبراهيم حسين، (1989م). وسوسة الفنانين المسلمين، ج: 1، ط: 2، دار الثقافة العربية، القاهرة.
- محمد علي الصابوني وآخرون، (د.ت). حكم الإسلام في التصوير، المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- نعمت إسماعيل علام، (1992م). فنون الشرق الأوسط في العصور الوسطى، ط: 5، دار المعارف، القاهرة.



الصورة رقم: 3 لتصوير
الجداري بقصر الحير الغربي
القرن الثامن للميلاد



الصورة رقم: 2 تصوير جداري
ينتل راقصتين بقصر الحوسق
القرن التاسع للميلاد



الصورة رقم: 1 تصوير جداري
بقصير عمرة أوائل القرن الثامن
للميلاد



الصورة رقم: 4 من مخطوطة
المقامات الحريري لشيفر محفوظة
بالمكتبة الأهلية ببغداد



الصورة رقم: 7 طبق من الخزف
ذي البريق المعدني موضوعها
رياضة التحطيب العصر الفاطمي



الصورة رقم: 6 طبق من الخزف ذي
البريق المعدني موضوعها رياضة
التحطيب العصر الفاطمي



الصورة رقم: 5 طبق من الخزف ذي
البريق المعدني موضوعها رياضة
التحطيب العصر الفاطمي



الصورة رقم: 10 طبق من الخزف
ذي البريق المعدني موضوعها
رياضة التحطيب العصر الفاطمي



الصورة رقم: 9 طبق من الخزف ذي
البريق المعدني موضوعها رياضة
التحطيب العصر الفاطمي



الصورة رقم: 8 طبق من الخزف ذي
البريق المعدني موضوعها رياضة
التحطيب العصر الفاطمي



الصورة رقم: 13 منمنمة من مخطوطة
لمنظومات الخمس، تمثل البطل بهرام جور
يقتل الحيوان من عمل بهزاد



الصورة رقم: 12 مخطوطة مقامات
الحريري من رسم يحيى الواسطي
محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس



الصورة رقم: 11 طبق من الخزف ذي
البريق المعدني موضوعها رياضة التحطيب
العصر الفاطمي



الصورة رقم: 15 من مخطوطة قصائد خواجة
كروماني تعود إلى العصر الجلائري بالعراق
779 هـ / 1396 م من عمل المصور جنيذ



الصورة رقم: 17 من مخطوطة بستان
لشعدي تمثل الملك دارا يرعى الخيل من
عمل بهزاد محفوظة بدار الكتب المصرية



الصورة رقم: 14 مخطوطة مقامات
الحريري من رسم يحيى الواسطي
محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس